

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان الأساسي / دور الحديث والسيرة النبوية وأهمية نشرهما وأثر ذلك وضرورته في العصر الحاضر .

العنوان البديل : أهمية نشر الحديث والسيرة في العالم المعاصرة .

تعريف الحديث : الحديث هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره أو ما همّ بفعله مما له صلة بالتشريع والتقنين . { ١ } علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٢٧

تعريف السيرة : السيرة هي قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره أو ما همّ بفعله أو صفة من صفاته خُلِقِيَّةً كانت أو خُلُقِيَّةً . { ٢ } السنة قبل التدوين للدكتور عجاج الخطيب ص ٣٥

وضع العالم عند البعثة

وضع اليهود عند البعثة :

بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم والديانات مجموعة طقوس ، وتقاليد لا روح فيها ، فاليهودية كانت ديانة سلالة محصورة ، في عرق معين في بني البشر ، لا تحمل دعوة إلى الإنسانية جمعاء ، ولا دعوة إلى بني البشر أجمعين ، أصيبت في صميم عزها ، وتفضيلها على البشر .

وجاءها التفضيل من منطلق عقيدة التوحيد، قال تعالى : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي

أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين) { ٣ } سورة البقرة آية ٤٧

فقد دخلها كثير من عقائد الأمم المجاورة ، واقتبسوا عاداتها وتقاليدها الوثنية المناقضة لهذه العقيدة ، كما تبنّوا معتقدات وعادات نتيجة وقوعهم تحت سيطرة الحكومات الغازية ، ومن عادة المغلوب أن يتتبع أساليب الغالب لظنه أنها سر القوة والغلبة .

{ ١ } أنظر علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٢٧ .

{ ٢ } السنة قبل التدوين للدكتور عجاج الخطيب ص ٣٥ .

{ ٣ } سورة البقرة آية ٤٧ .

وقد تحدث القرآن الكريم عن فقدان اليهود لتناج التفضيل على العالم ، و إنهم لم يعودوا متميزين بل هم وسائر الناس في الشرك بالله سواء ، قال تعالى (وقالت اليهود غزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهنون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) { ١ } سورة التوبة آية ٣٠

وضع النصارى :

بُعث المصطفى عليه الصلاة والسلام والنصرانية خليط بين الغالين المحضين ، تنطعوا إلى الرهينة وتخلوا عن أمور الحياة ,وجاهلين مزجوا وثنية الرومان بالتوحيد، إرضاء للملوك والرؤساء ،ظناً منهم أنها ستتخلص في نهاية المطاف، وتعود إلى نضارتها كما نزلت من عند الله عزوجل . وجاءت الضربات القاضية على توحيد النصرانية على يد كل من بولس وادعاءاته الكاذبة , وأفلوطين ونزعاته الوثنية .

فقد كان شغوفاً بها ولاشباعها سافر إلى أرض الوثنيات (الهند)ومكث بها قرابة ثلاث سنوات ، فلما عاد وترأس كنيسة الإسكندرية بمصر لم يعد التوحيد يعرف إل قلبه سبيلاً. ودخلت رسمية ثنائية الإله إلى النصرانية من مجمع نيقية، الذي ترأسه قسطنطين وغلب رأى الأقلية الوثنية على الأكثرية الموحدة، وأمر بجمع كل كتب التوحيد وحرقتها ليقطع خط العودة إليه إلى الأبد، أما التتليث الرسمي فقد إكتمل في النصرانية في المجمع القسطنطيني الأول عام ٣٨١ م من الميلاد. { ٢ } محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٣٦ و ١٣٣

وبذلك فقدت النصرانية ما بعث عيسى ابن مريم من أجله، ومن هنا حكم الله في كتابه بتكفيرهم تصريحاً لا كناية، قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) { ٣ } سورة المائدة آية ٧٣

{ ١ } سورة التوبة آية ٣٠ .

{ ٢ } محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٣٦ و ١٣٣ .

{ ٣ } سورة المائدة آية ٧٣ .

وضع الفرس المجوس :

وإذا نظرت إلى المجوس الذي عرفوا في التاريخ بعبادة العناصر الطبيعية وحصروها أخيراً في عبادة الشمس , وفي عبادة النار . وبنوا لها المعابد والهياكل وشرعوا لها آداباً لاتقبل عبادتهما بدونها . وتطورت عبادة الإلهين عند الإيرانيين في عهد الساسانيين كما يقول آرثر كرستن سين المتخصص في تاريخ إيران و أستاذ الألسنة الشرقية في جامعة كوبن هايجن الدينماركية (وقد دانوا بالثنوية في كل عصر وآمنوا بالهين اثنين أحدهما النور أو إله الخير ويسمونه (أهورمزدا) أو (يزدان) والثاني الظلام. أو إله الشر ولا يزال الصراع بينهما قائماً والحرب دائمة) {١} . إيران في عهد الساسانيين ص ١٨٣ و ٢٣٣

.وضع الهندوس :

أما ديانة الهند فهي منبع تعدد الآلهة و الآلهات وأصبحت مصدر تصدير لتعدد الإله إلى العالم وقد بلغ عدد الآلهة عند مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقرب من ٣٣٠ مليوناً فكل جميل إله وكل ضخم إله وكل نافع إله وكل قوي إله {٢} , أنظر R.C.Det ج٣ ص٢٧٦ وكان قيام الديانة البوذية المنتشرة في جنوب الهند وآسيا الوسطى مناقضاً لمبدأ تعدد الإله إلا أنها تخلت عن هذا المبدأ وتسلسل إليها مبدأ التعدد فجعلت بوذا الإله الأكبر ثم أضافت إليه آلهة أخرى على مر الزمن .

ويجمل L.S.S.Omally كثرة الآلهة في الهند فيقول (إن عملية خلق الآلهة لم تنته على هذا فلم تنزل تنضم آلهة صغيرة في فترات تاريخية مختلفة إلى هذا المجمع الإلهي في عدد كبير حتى أصبح منها جمع يفوق الإحصاء وكان الكثير منها آلهة سكان الهند القدامى وألحقت بآلهة الديانة الهندوكية

{٣} Popular Hinduism p 6-7

{١} إيران في عهد الساسانيين ص ١٨٣ و ص ٢٣٣ .

{٢} راجع للتفصيل الهند القديمة ل/ آر . سي . دت ج٣/٢٧٦ .

{٣} Popular Hinduism p 6-7.

وضع العرب :

أما جزيرة العرب فقد كان مركزها مدينة مكة، وكان سكانها موزعين في مناطق الكأ والماء لكل قبيلة تشريع تمارسه على حدة، ولا يمكن الاتحاد بين التشريعات ومساوات تطبيقها بين السكان فكان من تشريعاتهم آنذاك أن من انتهك عرضه أخذ المنتهك أو من يتولى شئونه ذلك العرض .
وأما يهود الجزيرة فقد كانوا يسودون وجه المنتهك ، ويطوفون به البلاد إهانة وخزياً فالوضع التشريعي لم يكن موحداً ، فلكل قبيلة عاداتها وتقاليدها التي أصبحت لوائح تشريعية متعارف عليها ، يتعاملون بموجبها ، ولعدم وجود التشريع الموحد كان رئيس القبيلتين أو أكثر يجتمعون لفض المنازعات بين قبائلهم ، فلكل حالة تشريعٍ وقتي يتعاملون به .
نماذج من الإستبداد عند البعثة :

يذكر التاريخ في استبداد الإمبراطوريتين {الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية} أحداثاً تقشع لها الجلود ، فعباد ابن فيروز كسرى فرس أمر بمسح الأرض وحصر مساحتها ، حتى يفرض الخراج ، فمات قبل أن يكتمل مشروعه فخلفه ابنه فأتم المشروع .
وأضاف إليه حصر الأشجار ، حتى يفرض الجباية والضريبة، فبعد أن أتم ذلك ووضع التشريعات اللازمة لها ، و جمع الناس وطرح عليهم مشروعة ثم سأهم آراءهم فيه، فلم يرد عليه أحد فكرر ذلك ثلاث مرات ، فقام في الثالثة رجل من وسط القوم، وقال لكسرى (أتضع أيها الملك الخالد من هذا الخراج على الفاني من كرم، وزرع يهيج ونحر يغور، وعين أو قناة ينقطع ماؤها) فقال له كسرى يا ذا الكلفة المشؤم من أي طبقات الناس أنت، قال أنا رجل من الكتاب فقال كسرى، اضربوه بالدوى حتى يموت فضربه الكتاب تبرؤاً منه حتى قتلوه وقال الناس نحن راضون .
{١} تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢١-١٢٢ .

أما الرومان فلم يكونوا يختلفون عن الإيرانيين كثيراً ، وإن كانوا لم يبلغوا من امتهان الإنسانية مثلهم ، يقول المؤرخ ويكتور جيبورت (كان القياصرة آلهة ولم يكن ذلك وراثية ، بل كل من ملك تلقب بالإله ، وكان مجلس الوزراء يؤكد صحة كل حكم يصدر بحمد السيف، ولم تكن هذه الإمبراطورية إلا صورة لدكتاتورية عسكرية . {٢} انظر The Roman world P418 لوكتور جيبورت .

{١} تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢١-١٢٢ .

{٢} انظر The Roman world P418 ل وكتور جيبورت .

وأما الهند فقد أهين فيه الشعب وقسم إلى طبقات ، وإذا مد أحد المنبوذين يده إلى البرهمي قطعت يده وإذا رفسه قطعت رجله ، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدع والغراب ورجل من الطبقة المنبوذة سواء .

سلامة الفطرة في أرض الجزيرة :

وأما سكان الجزيرة فلم يكن فيهم هذه الإهانة تجاه الإنسان، بل كثيراً ما خالف الأفراد ملوكهم لأن فطرتهم تأبى الخضوع لمثلهم من ابن آدم، فلم يخضعوا كخضوع الإيرانيين والرومان ، ودخول المغيرة بن شعبه إلى رستم وجلسه معه على عادة العرب، وهو في أبهة سلطانه خير دليل على تلك الفطرة ، فقد وثب عليه القوم وانزلوه

فقال لهم (كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم ،إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنع، ولم آتكم ولكن دعتموني) {١} تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٠٨ .

أضف إلى ذلك أن الكعبة المشرفة التي بناها إبراهيم عليه السلام موجودة في أرض الجزيرة ، كما أن أرضها تتوسط بين قارتي إفريقيا و أوروبا، فرغم وقوعها بين قوتين متنافستين المسيحية والمجوسية فقد ظلت محتفظة بحريتها واستقلالها، ولم تخضع لإحداها إلا في بعض أطرافها وفي قليل من قبائلها .

فقد كانت الجزيرة في خير موقف لأن تكون مركزاً لدعوة إنسانية عالمية، تتحدث عن مستوى مشرف عن الإنسان ،بعيدة عن كل نفوذ سياسي أو تأثير دخيل ،فمن هنا اختار الله جزيرة العرب بل مكة لتكون مبعث الرسول، ومهبط الوحي ونقطة إنطلاق الإسلام إلى العالم أجمع .

فقد عم اليأس أرض الجزيرة من جميع جوانبها، إنحطاط اجتماعي واقتصادي، إنحطاط أممي وسياسي، إلا إن سكانها يحتفظون بسلامة الفطرة ،قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) {٢} سورة آل عمران آية ١٠٣

{١} تاريخ الطبري ج٤ ص ١٠٨ .

{٢} سورة آل عمران آية ١٠٣ .

الحاجة إلى الرسالة :

فقد عم الفساد العالم كله ، ووصل إلى حد لا يستطيع المصلحون والمعلمون إصلاحه، فلم تكن القضية قضية إصلاح عادة أو عبادة، بل إزالة أنقاض الجاهلية ووثنية ملحدة تراكمت عبر القرون والأجيال، واستتصال شأفة الوثنية واجتثاثها من جذورها .

وترسيخ عقيدة التوحيد في أعماق النفس الإنسانية , وغرس ميل إلى إرضاء الله وعبادته وخدمة الإنسانية , والانتصار للحق، وإن هذه المسؤولية أضخم من أن يتحملها إنسان عادي بل لا بد من رسول مبعوث من قبل الله، يحطم تلك الحواجز التي حالت بين الإنسان وخالقه و معبوده جل وعلا .

ومن هنا كانت البشرية محتاجة إلى إصلاح جذري شامل وبعث جديد ورسالة إلهية فكانت الرسالة المهداة , رسالة محمد بن عبدالله خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والتسليم .

نسبه:

هو محمد بن عبدالله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمية، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان . وينتهي نسب عدنان إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام {١} أنظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١-٢ وانظر صحيح البخاري كتاب المناقب باب بعث النبي محمد بن عبد الله

بيان أهمية النسب بالنسبة للدعاة والمصلحين :

للنسب مكانة عظيمة في المجتمع الإنساني كله، فكل ما كان الإنسان رفيع النسب كلما كان لكلامه وقع في نفوس الناس، وكلما كان الإنسان وضيع النسب كلما إنصرف الناس عنه ووثموا كلامه بالخيال والجنون .

وكلما كان الإنسان رفيع النسب كلما حاول التقليل من إرتكاب ما يعيبه، سواء كان ذلك في جناب الله عزوجل أو كان ذلك تجاه بني البشر .

لذا كلما كان دعاء هذا الدين من رفيعي النسب كانت الإستجابة أسرع ومكانة كلامهم أوقع في نفوس المستمعين ، ومن هنا نجد رسل الله وأنبياءه يبعثون في أرفع نسب في أقوامهم

{١} أنظر صحيح البخاري كتاب المناقب باب بعث النبي محمد بن عبد الله وأنظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١-٢ .

. وللدلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم سأل هرقل أبا سفيان، عن نسب سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم (كيف نسبه فيكم) فأجابه سفيان بقوله هو فينا ذو نسب فقال وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . {١} صحيح البخاري كتاب بدأ الوحي باب بدأ الوحي رقم الحديث ٦

وإلى ذلك جاءت الإشارة الصريحة في قوله صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه) {٢} صحيح البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي رقم الحديث ٣٢٩٣ وفي صحيح مسلم (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) {٣} كتب الفضائل باب نسب النبي رقم الحديث ٤٢٢١ فيما أن الأنبياء سيد الدعوة فقد جعلهم الله من خير نسب بني آدم، لذا كان القيام بمهمة الدعوة أكد على ذي النسب الرفيع من سائر الناس وعامتهم .

{١} صحيح البخاري كتاب بدأ الوحي باب بدأ الوحي رقم الحديث ٦ .

{٢} صحيح البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي رقم الحديث ٣٢٩٣ .

{٣} كتب الفضائل باب نسب النبي رقم الحديث ٤٢٢١ .

وضع العالم اليوم

ما أشبه الليلة بالبارحة , يدور الزمن دورته , نعيش زمناً أشبه ما يكون بزمن الجاهلية التي بعث فيها رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، الإنسان عدو لأخيه الإنسان ، قانون الغابة هو الذي يسير حياة البشر ، القوي يأكل الضعيف ، قتل الإنسان أسهل من قتل البعوض .
فإذا نظرنا إلى حالة المسلمين اليوم سياسياً أو اجتماعياً أو قانونياً أو اقتصادياً، نجد في حياتهم العلل التالية ، عللٌ توازي عللَ عهد النبوة ، بل ربما بعضها يفوق علل عهد النبوة ويعظم عليها ، فمن أهمها :

١- العلل الفكرية

تأخر المسلمين في جميع مجالات الحياة أمر غير خفي ، فقد أصيبوا بعقدة النقص ، فأخذوا يقتبسون لسد العجز الذي حلّ بدارهم ، ولم يجدوا فرصة التنقيح ، وأخذ المفيد وترك الضار من الغرب المتقدم ، أخذوا الغث والثمين ، أخذوا الحسن والسيئ ، أخذوا ما كانوا في حاجة إليه وما لم يكونوا في حاجة إليه .

وأبرز هذه العلل الفكرية ، العلمانية ، والالبرالية ، والنظريات المناقضة للأسس الشرعية ، والأسس الإنسانية ، كنظرية نشوء الدين ونظرية اختراع الإله والنظرية الجنسية التي تجزم أن جميع حركات الإنسان تنبع من الجنس ، والنظرية المشاعية الشيوعية .
فتولد عن ذلك فرقٌ حديثة في الصف المسلم ، ألبست الكفر ثوب الإسلام ، كالكاديانية والقرآنية والبهائية والبابية والأخاخانية والنصيرية والدروز

٢- العلل الاقتصادية

الاقتصاد عصب الحياة المادية، به تقاس قوة الأمة وضعفها ، أباح النظام الاقتصادي العالمي الربا ، وأعطاه اسماً ليس له ، سمى الربويات فوائد ، المنكر لها شاذ في فكره ، تصفه الناس بالمسكنة والتخلف ، أباح أنواعاً من البيوع المحرمة ، لأن ذلك غير ممنوع في الدول المتقدمة ، أباح بيع العينّة بعد تحويره في صورة بيع الأقساط مثلاً .

أعظم بلاء يعم كل العالم اليوم ، لا فرق بين دولة غنية وأخرى فقيرة ، ولا بين الرجال والنساء ، ولا بين الفقير والغني ، هذا البلاء يلتهم أموال كل الناس لا يترك لهم لقمة العيش الشريفة {بلاء الضرائب} فإنه أشد ظلماً مما كان أيام البعثة

ضريبة على البيت الذي تسكنه ، ضريبة على السيارة التي تتركها ، ضريبة على الشارع الذي تستعمله ، ضريبة على الماء الذي تستهلكه ، ضريبة على الراتب الذي تتقاضاه ، ضريبة على شراء الملابس التي تلبسها ، ضريبة على الكهرباء التي تستهلكها ، ضريبة على البغاء الذي تمارسه البغية ، ضريبة على الدخل الذي اكتسبته بالطرق المشروعة ، كل ذلك باسم رفع المعاناة عن الفقراء ، والتخفيف من عبء الحياة عليهم ، والحق إهم أفقرنا الأغنياء ، ولم يغنوا الفقراء ، بل ازداد الناس فقراً عما كانوا عليه قبل الضرائب . لم يعد الإنسان ينظر إلى أخيه الإنسان بأنه شريكه في المأكل والمشرب ، شعوب تموت جوعاً ، وأخرى ترمي الفائض من القمح والبيض والفواكه والحليب..... في البحر ، خشية تدني الأسعار ، فهذا هي الشعوب الأفريقية تموت جوعاً بينما أميركا وكندا وأستراليا تلقي بالفائض من القمح والذرة والفواكه في البحار .

أما نهب الدول الغنية التي تملك التقنيات لخيرات الدول التي لا تملك التقنيات فحديث الأطفال ، فضلا عن البالغين والعقلاء ، فموزنيق مثلاً من أعظم الدول في تصدير الأحجار الكريمة ، بينما شعبها يبحث عن فتات العيش في صناديق القمامة للشركات الأمريكية التي تستخرج هذه الأحجار .

دول الغاز و النفط تُنهبُ ثرواتها الناضبة بأجس الأثمان ، وتعاد إليهم تلك الثروات بعد التصنيع بمائة ضعف من الكلفة الحقيقية ، تأمر على الاحتفاظ بالمستوى المتخلف في العالم الإسلامي في باب التصنيع ، وهو حديث السر والعلن في المجتمعات المتقدمة ، حتى يبقى الناس منقسمين إلى سادة وعبيد ، إلى مالك للمصنع وأجير يعمل فيه ، فذو البشرة البيضاء خُلِق ليكون مالكا وذو البشرة الملونة خُلِق ليكون أجيرا .

٣- العلل الاجتماعية :

الإنسان إجتماعي بفطرته ، يجب العيش مع أخيه الإنسان ، وحضارة اليوم تغرس فيه الانطوائية والانفرادية ، لم يعد يشارك فيما كان يشارك فيه والده ، ولوسائل الإتصال من جَوَال وانت نت أعظم الأثر في تغذية هذا الجانب ، فبعد أن كان يبارك المناسبة المُفرحة بالمشاركة الشخصية أصبح يكتبني اليوم بالمباركة الكلامية عن طريق الجوال

ولجهاز التلفاز نصيب وافر لغرس هذه الإنطوائية ، فلو نظرنا إلى حياة أطفالنا نجدهم مستعدين لترك زيارة قريب أو عزيز ، من أجل التفرج على برنامج تلفزيوني معين ، أما التوجيه الذي يتلقونه من هذا الجهاز فحدث عن سوته ولا حرج .

وننتج عن ذلك كثرة العنوسة في المجتمعات الإسلامية الثرية من جهة ، وكثرة الطلاق من جهة أخرى ، وأسوأ النتائج على الإطلاق فقدان تربية الأولاد ، وفقدان الحياء الفطري ، وعدم التأدب مع من هو أكبر منه سناً .

٤- هدر عصمة الدم

قَتَلُ الإنسان اليوم لأخيه الإنسان كشراب الماء ، أو إستعارة الدخان من مدخنٍ لمدخن ، نزعة القتل وإراقة الدم من الأمور المألوفة في الحياة اليومية ، لا يتورع عن ارتكابها الفقير أو الغني ، أو ذو المنصب ومن لا منصب له، بل نجد من يستأجر القاتل ببضع مئات من الدولارات لتنفيذ الجريمة

دم المسلم أرخص من دم القطة والكلب والفأرة في الدول الغربية ، همّ الإنسان الوحيد كسب المال بغير النظر عن طرق الكسب ، ودون النظر إلى حليتها أو حرمتها ، واشتد الكرب على المسلمين باسم الإرهاب ، فمتى أرادت دولة ما التخلص من أحد وصفته بالإرهاب والرديكالية ، والتخلص من مثله واجب من واجبات الإنسان المتحضر .

فجرت دماء المسلمين أنهاراً ، لا تكاد تعرف الجفاف ، فهذا هي أفغانستان والعراق وكشمير وقطاني والصومال وفلسطين والفلبين أمثلة حية على أرض الواقع .

٥- هدر عصمة العرض

المعروف عن العالم الشرقي إنه محافظ على أعراضه ، لا يبيح انتهاكها إلا بالطرق الشرعية ، واختلاط الثقافات وكثرة الترحال والسفر أحق ضرراً بالغاً بهذا الشرقي المحافظ ، حتى خضع للصحة المحرمة بين الذكور والإناث ، ولا مانع لديه من تبادل الزوجات ، ليظهر تحرره من القيود العتيقة ، ويكتسب سمّة التحضر المعاصر .

٦- التشريع الوضعي

التشريع محور تسيير دفة الحياة ، والأنظمة الديمقراطية اسماً ، أو اسماً وواقعاً تأخذ منها نصيب الأسد ، والنظام الديمقراطي يختلف من دولة إلى أخرى ، لأن لكل برلمان حق التشريع ، وتختلف رؤية المشرعين من الحدث ، فمنهم المنكر ، ومنهم المؤيد .

لذا نجد التشريعات الديمقراطية تماثل التشريعات القبلية التي عاصرت عهد الرسالة ، فلكل قبيلة تشريعها الإنفرادي آنذاك ولكل نظام ديمقراطي تشريعه اليوم يختص به ، لا يلزم أن يشاركه غيره فيه ، فلا توجد تشريعات موحدة في هذه الأنظمة .

فالتشريعات الديمقراطية العالمية تماثل تشريعات القبائل المختلفة في عهد النبوة ، كما ترى المماثلة في أن القبيلة القوية تفرض رأيها على القبائل الضعيفة ، هكذا النظام الديمقراطي القوي يفرض تَوَجُّهَهُ على الدول الضعيفة ، فلا تملك إلا الطاعة ، كما كانت القبيلة الضعيفة تطيع أوامر القبيلة القوية .

٧- فقدان التميز بالإسلام

إن كان الإسلام سمة شرف وعز في الماضي فإنه اليوم سمة تخلف وذل ، لذلك يخفي المسلم دينه ، ولا مانع لديه إذا ألجأته الظروف أن يتسمى باسم يتلاءم مع البيئة والظروف ، فإن كان في بيئة نصرانية حَوَّلَ اسمه من محمد إلى جون و من مريم إلى ميري وهكذا دواليك

.....

خلاصة القول أن حياة البشر اليوم أسوأ من حياة البشر الذين عاشوا في عهد الرسالة المحمدية ، وبما أن باب النبوة مقفل فلم يبق لإعادة البشر إلى جادة الصواب و إعادة الإنسانية إلى الإنسان إلا عَرَضَ سيرته صلى الله عليه وسلم ، وإنما لكفيلة بإعادة ما فقدته الإنسانية من مبادئها السامية ، وإعادة بناء الثقة المفقودة بين البشر ، وهذا ما سأشير إليه بإيجاز في دراسة أهمية السيرة .

أهمية دراسة السيرة

دراسة حياة محمد واجبة على كل مسلم ومسلمة، كما أن اطلاع غير المسلمين على سيرته تقودهم إلى إصلاح أحوالهم وأحوال من ينتمون إليهم، فما من إنسان يدرس سيرته عليه الصلاة والسلام إلا ويجد معالم الطريق المصلحة لحياته، وتحل له مشكلاته. فمن أعظم الجوانب التي تنير طريق البشر ما يلي:-

أولاً:

لا تخلو المكتبات من سيرة العظماء كإسكندر المقدوني وأرسطو وأفلاطون ونابليون.... وغيرهم فقد سجلهم الباحثون، إلا أن ما كتب عنهم خليط لا يمكن فصل الحق فيه من الباطل. وتذكر الكتب الدينية من توراة وإنجيل وزبور....، سيرة الأنبياء السابقين مثل نوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وموسى وعيسى.... عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام، إلا أن سيرهم لا تخلو من غلو مقصود أو غير مقصود أو إجحاف من عدو لئيم، أو حاسد مكشوف. أما سيرة محمد بن عبدالله فهي أصح سيرة لنبي مرسل، ومصلح عظيم، وصلت إلى البشر من أصح الطرق العلمية ثبوتاً، وأصدقها رواية، لا تدع مجالاً للشك والريبة في وقائعها البارزة وأحداثها الجسيمة، بخلاف ما لو تتبعنا سيرة موسى أو عيسى عليهما السلام. في التوراة والإنجيل فإنهما لا يصمدان أمام البحث العلمي، وطرق الرواية الصحيحة.

ثانياً:

سيرة محمد بن عبدالله سجل مكشوف في جميع مراحل حياته منذ زواج أبيه عبدالله من أمه آمنة مروراً بصباه وشبابه....، ورحلاته خارج مكة، إلى أن اختاره الله لرسالته وجهاده من أجل دعوته.... حتى وفاته.

كل ذلك واضح وضوح الشمس حتى اضطر أعدائه إلى الاعتراف قائلاً: (إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الوحيد الذي ولد في ضوء الشمس).

ولم يتيسر مثله أو قريب منه لرسول من رسل الله أو عظيم من عظماء البشر، فلا نعرف عن طفولة موسى أو عيسى أو مرحلة شبابهما أو طرق معيشتهما قبل النبوة، بل لا نعرف إلا النذر اليسير من حياتهما الرسولية الصحيحة.

فأين هذا من سيرة رسول نعرف أدق تفاصيل حياته ، من أكله وشربه وقيامه وعوده ولباسه وتعبه وصلاته ومعاشرته لأهله، بل تصل دقة الرواية إلى حد عدّ الشعرات البيض في رأسه ولحيته عليه الصلاة والسلام .

ثالثا:

سيرته صلى الله عليه وسلم تقص علينا سيرة إنسان أختاره الله لإبلاغ رسالته هداية البشر أجمعين، فلا تخرج به عن إنسانيته، فلم تلتحق بحياته الأساطير وأحداث ما فوق الفطرة، كما لم تلبس شخصيته مسح الألوهية لا من قريب ولا من بعيد، فما يرويه البوذيون عن بوذا والوثنيون عن آلهتهم المعبودة يضعك على المحك الفاصل بين سيرته وسيرة هؤلاء.

ولكل سيرة أثرها على أتباع عظيمها في السلوك الإنساني والاجتماعي
فادعاء الألوهية لبوذا وعيسى جعلهما أبعد منالأ من الإقتداء والنمذجية ، فمن أراد من البوذيين أو النصرى حياة سعيدة لا يستطيع الإقتداء بقائده، لأنه إله وهو إنسان.

بينما لو أراد مسلم حياة سعيدة وسَعَه الإقتداء برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هنا جاء الأمر الإلهي بالإقتداء به ، لأنه إنسان يستطيع كل إنسان أن يفعل ما فعل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) {١} سورة الأحزاب آية ٢١ .

رابعا :

سيرة سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم شملت كل نواحي الحياة، فهي تخبرنا بمحمد الشاب الأمين، واصل لرحمته، بعيد عن رذائل الجاهلية، معين للمحتاج مكرم للضيف، يعفو عن من ظلمه، لم يتفوه بكلمة نابيه.... كل ذلك قبل رسالته.

وأما بعد رسالته، فهي تحكي لنا سيرة الداعية إلى الله. يبذل منتهى طاقته في سبيل دعوته، كما تحكي لنا سيرة الرسول الزوج وتعامله مع أهله(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) {٢} سنن الترمذي كتاب المناقب باب فضل أزواج النبي رقم الحديث ٣٢٣٠ .

يحدد الحقوق والواجبات لكلا الزوجين ، ويقدم التربية المثلى للأولاد والإخوة والأخوات.....، كما تقدم سيرته تربية مثالية لأصحابه وأعدائه وأصدقائه والشامتين به، كما تحكي

{١} سورة الأحزاب آية ٢١ .

{٢} سنن الترمذي كتاب المناقب باب فضل أزواج النبي رقم الحديث ٣٢٣٠ .

لنا سيرته كرئيس دولة يضع أفوم القوانين وأعدّها في يقظة وإخلاص، ويعقد المعاهدات، ويرم عهد الصلح، ويؤاخي بين أصحابه المهاجرين والأنصار ما عرفت البشرية مثل هذا الإخاء طوال أحقابها التاريخية.

منتهى القول أن سيرته شملت كل نواحي الحياة، خلّوها ومرها، تقدم النموذج المستطاع لكل بني الإنسان في كل روافد الحياة، ولا نجد لها مثيلاً شاملاً أو قريباً منها من مؤسسي الديانات أو الفرق أو المصلحين أو العظماء قديماً وحديثاً.

فيعسى عليه السلام يعطينا مثال الداعية الزاهد في الدنيا، ولكن الموجود من سيرته بين يدي النصارى لا تعطينا سيرته قائداً محارباً ولا رئيس دولة ولا أباً ولا زوجاً.....، ومثل ذلك بوذا وأرسطو وأفلاطون ونابليون وتشرشل وكونفوشيوس....، مثل هؤلاء إن صلح في ناحية للإقتداء به فإنه غير صالح في ناحية أخرى للإقتداء به .

والإنسان الوحيد الذي يصلح للإقتداء لجميع الفئات و في جميع الأحوال مع اختلاف المواهب والقدرات هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فحسب.

خامساً:

سيرته صلى الله عليه وسلم تقدم الدليل القاطع على صدق رسالته دون سائر سائر الأنبياء والرسال المتوفرة بين أيدي البشر، سار في دعوته من فتح إلى فتح ومن انتصار إلى انتصار عن طريق فطري بحت، لا عن طريق الخوارق والمعجزات.

دعا فَلَحِقَهُ الأذى وتكوّن حوله الأنصار وعاداه الأفراد والجماعات، قاده المعادون له إلى الحروب فحارب، وما أن فارق الحياة حتى عمت دعوته أرض الجزيرة كلها، عن طريق الإقناع لا القهر والغلبة رغم عدم التكافؤ بين أتباعه ومعاديه، وقصر المدة المحصورة في ثلاث وعشرين سنة مقنع عقلي آخر لصدق رسالته.

وأما ما جرى على يديه من خوارق العادات لم تأت لإثبات رسالته، وإنما جاءت كدليل إضافي على صدق ما ادعاه من الرسالة الإلهية.

أما سائر الأنبياء والمرسلين فإن المعجزات وخوارق العادات هي الأساس في صدق رسالتهم. فهاهي الأناجيل المعتمدة لدى الكنيسة تنص أن المعجزات وحدها هي التي كانت سبباً في إيمان الجماهير دفعة واحدة.

ففي الفتح المبين - فتح مكة - جاء العباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان بعد أن أجزه، فلحقه عمر رضي الله عنه واستأذن عمر في ضرب عنقه، ثم جيء به صباح الغد فقال له صلى الله عليه وسلم: (ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله) فقال أبو سفيان ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لو كان معه إله غيره لأغنى عني شيئاً بعد. فقال (ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أي رسول الله). {١} روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ل صفى الرحمن الأعظمى صفحة: ١١٩ .

فالخطاب كله عقلي , وطريقة الإقناع ما تجاوزت الفطرة. وتلك هي ميزة هذه السيرة (وقالوا لولا أنزلت عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين* أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) {٢} سورة العنكبوت آية ٥٠-٥١ .

سادسا:

مصادر سيرته صلى الله عليه وسلم أصدق المصادر وأوثقها على الإطلاق، فما عرفت البشرية كتباً أصدق من كتب سيرته ، وأعظم ذلك مصدرا الإسلام كتاب الله عز وجل وما دُونَ في كتب السنة الصحيحة.

فالقرآن الكريم ذكر العديد من قضايا سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فيقول الله تعالى عن خُلُقِهِ عليه الصلاة والسلام. (وإنك لعلى خلق عظيم) {٣} سورة قلم آية ٤
كما تحدث كتاب الله عما لقيه في سبيل دعوته (فوربك لنسألنهم أجمعين* عما كانوا يعملون* فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين* إنا كفيناك المستهزئين* الذين يجعلون مع الله إله آخر فسوف يعلمون* ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون* فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين* واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) {٤} سورة الحجر آية ٩٢-٩٩ .

أضف إليه أن القرآن تحدث عن أهم المعارك التي خاضها عليه الصلاة والسلام، كمعركة بدر وأحد والأحزاب وصلاح الحديبية وفتح مكة وغزوة حنين ، كما تعرض لهجرته عليه الصلاة والسلام ، وعَرَجَ على بعض معجزاته كمعجزة الإسراء والمعراج.... .

{١} { روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ل صفى الرحمن الأعظمى صفحة: ١١٩ .

{٢} { سورة العنكبوت آية ٥٠ - ٥١ .

{٣} { سورة قلم آية ٤ .

{٤} { سورة الحجر آية ٩٢ - ٩٩ .

ولما كان هذا الكتاب أوثق الكتب وأصحها على الإطلاق في عالم الوجود لم يفكر عاقل في تشكيك ما عُرض فيه، فما ذكره هذا الكتاب من وقائع السيرة تعتبر أصح مصدر لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الملاحظ أن ما ذكره القرآن الكريم من سيرته لم يتعرض لتفاصيل الأحداث، وإنما ذكرها إجمالاً.

فمثلاً حين عرض لغزوة بدر لم يذكر عدد المجاهدين من المسلمين ولا عدد المقاتلين من الكافرين، ولا عدد القتلى، ولا عدد الأسرى. وإنما نجد التركيز كله على العبر والعظات ودروس المعركة..... ، لذلك من أراد التعرف على سيرة محمد صلى الله عليه وسلم عليه ألا يقتصر على القرآن الكريم ، بل يضيف إليه ما ورد في السنة الصحيحة ليخرج بصورة متكاملة عن الحدث كما وقع.

سابعاً:

كتب السنة الصحيحة تلي القرآن الكريم في ذكر سيرته ، بل لو جعلنا ذلك هو الأصل في سيرته ما تجاوزنا الحق إذ عليها العبء كله في ذكر التفاصيل لحياته وأحداثه عليه الصلاة والسلام. وأعظم ميزة تتصف بها هذه الكتب التي حوت سيرته أنها رويت بالسند تمكنا من فحص الحدث، ووضعه على المعايير العلمية صحةً وضعفاً ، وهذه الميزة لا تتوفر في سيرة من عداه من الأنبياء والمرسلين والعظماء والمصلحين.

ونخص من هذه الكتب الصحيحين ، وعند المفاضلة بينهما يرجح علماء الحديث تفضيل صحيح البخاري على صحيح مسلم، بل يكادون يجمعون على القولة الشهيرة في صفوفهم (من حلف على أن صحيح البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله على وجه الأرض لم يحنث في حلفه). ويرتب علماء السنة كتب الحديث التي جمعت سيرته من أقوال وأفعال وتقارير وما همم بفعله، وما ورد من صفاته الخلقية والخلقية ، فيقدمون صحيح البخاري على ما سواه ثم يليه صحيح مسلم، بل ما ورد فيهما يقدم على ما سواه لذا يقولون (رواه الشيخان) أجمعاً عليه (وفي الصحيحين) كل ذلك يشعر بقيمة هذين المصدرين عند المسلمين فيما يختص بسيرته صلى الله عليه وسلم.

ويلي الصحيحين السنن الأربعة: سنن أبي داود وسنن النسائي وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه فإنها مخزن سليم من مصادر السيرة، ويلي السنن موطأ الإمام مالك ومسنن الإمام أحمد رحم الله علماء المسلمين أجمعين .

ومن كتب السنة التي حوت سيرته المصنف لعبد الرزاق، ومسنن الإمام الشافعي والأدب المفرد للإمام البخاري ومشكل الآثار للطحاوي وبيان فضل العلم وأهله لابن عبد البر.....، ولو

استعرضنا كتب علماء الإسلام التي ذكرت سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لطال بنا المقام، وربما عجز القلم عن حصرها.

ولا تستغرب إن رأيت مصنفات عن سيرته ممن لا يؤمنون بدينه، فكم من المستشرقين والنصارى الغربيين والهندوس والبوذيين أعجب بشخصيته صلى الله عليه وسلم فلم يتمالك إلا أن يصنف في سيرته، تلك هي الفطرة السليمة التي تنصف وتعديل دون النظر إلى المشاعر والأضغان واختصت كتب في الرد على من هاجم هذا الرسول المبارك، فمن المستشرقين أمثال جب اليهودي أثار نقع الغبار فسلط الله عليه من بني جلدته ومن أتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم من نذر حياته للدفاع عن سيرته.

ثامناً :

و من مصادر السيرة الشعر الذي عاصر عهد الرسالة، كشعر حسان بن ثابت و عبدالله بن رواحه وليبد بن ربيعة صاحب المعلقة الشهيرة.....، كل هؤلاء تحدثوا عن البيئة التي عاصرت الرسول صلى الله عليه وسلم. ونستطيع عن طريق شعرهم استخلاص الحقائق التي ترعرعت فيها دعوة الإسلام ورسالة القرآن.

التصنيف في السيرة النبوية :

رويت السيرة كما تروى سائر الأحداث روايات شفهية، تناقلها الصحابة فيما بينهم و نقلوها إلى من بعدهم، ثم نقلها التابعون إلى من بعدهم، كأبان بن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير بن العوام و عبدالله بن أبي بكر الأنصاري ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

ثم دخلت السيرة عهد التصنيف فمن أوائل المصنفين محمد بن إسحاق بن يسار(توفي سنة ١٥٢هـ) في كتابه المغازي، إلا أن هذا السفر العظيم لم يصل إلينا فقدَ فيما فقدَ من تراثنا الإسلامي، ووَصَلَتْ خلاصاته في صورة سيرة ابن هشام التي رواها البكائي وكان من أشهر تلامذة ابن إسحاق.

سيرة ابن هشام :

جمع ابن هشام(المتوفى في سنة ٢١٣هـ) في سيرته(سيرة ابن هشام) مضمون المغازي وأضاف إليها ما سمعه من شيوخه مشافهة مما لم يرد ذكره في المغازي، فجاء كتابه والله الحمد والمنة جامعاً بين المغازي وما كان متواتر النقل على ألسنة أهل العلم، وشيوخ تلك الحقبة الزمنية من أحداث السيرة.

طبقات ابن سعد:-

ألف هذا السفر محمد بن سعد بن منيع الزهري (توفي سنة ٢٣٠هـ) وسلك فيه مسلكاً يختلف
عن سبقه، من مؤلفي السيرة فقد جاء كتابه مرتباً على:
١- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.
٢- سيرة الصحابة وما عاصروه من أحداث، وذلك بذكر قبائلهم وأماكن وجودهم وطريقة عيشهم
وزوجاتهم وأولادهم.....
٣- سيرة التابعين، فنقل ابن سعد نحوه في تدوين أحداث الصحابة إلى التابعين فجاءت طبقاته من
أحفظ مصادر السيرة الأولى وناقليها.
تاريخ الطبري:-

صاحب هذا السفر العظيم هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (توفي سنة ٣١٠هـ) ويلقب عند
جمهور العلماء بإمام التفسير وإمام التاريخ، ويعد كتابه {تاريخ الأمم والملوك} نهجاً جديداً في كتابة
التاريخ، فقد ذكر تاريخ الأمم التي سبقت محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر سيرته عليه الصلاة
والسلام، ثم تابع كتابته فذكر تاريخ الدول التي بعد عهد الرسالة حتى عهد الدول التي عاصرها.
وكتابه هذا لا يخلو من روايات ضعيفة أو موضوعة، وربما أجاز لنفسه ذلك بإسنادها إلى
رواقها، فمن أسند فقد برئ كرواياته عن أبي مخنف الشيعي المتعصب.
السيرة بعد عهد الجمع:

فمنذ القرن الرابع الهجري حتى القرن الثاني عشر أخذ العلماء يفحصون الروايات التي جُمعت
في العهد السابق، ويعد عهد ابن حجر وعهد الإمام الذهبي قمة الفحص والتمحيص. ومن أشهر
مؤلفات هذا العهد الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، و زاد المعاد لابن القيم، والمواهب اللدنية
للقسطلاني.

كما يزخر هذا العهد بإفراد كتب عن سير الرواة، ههنا فحص الروايات التي رويت عن
طريقهم، فبالتعرف على صاحب القول صدقاً وعدلاً ثقةً وجرحاً يمكننا التعرف على القول
والمتن، فمن أعظم المؤلفات التي فحصت هذا الجانب ميزان الاعتدال للإمام الذهبي وتهذيب
التهذيب لابن حجر.

السيرة في عهدنا الحاضر:-

يعد التأليف في سيرة سيد المرسلين في وقتنا الحاضر أعظم روافد التأليف، وتفنن علماء الإسلام
فيه فانفرد بعضهم:

- ١- بفقہ السيرة واستنباط العبر والعظات من الأحداث التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه أو أمر بخوضها ربما كان رجل الميدان لهذا الجانب هو البوطي في كتابه الشهير (فقه السيرة).
- ٢- وانفرد آخرون بالمشاركة والفوز بنيل الجائزة التي حُصِّصَتْ لهذا الجانب من التأليف، فالعديد من دول الإسلام تضع حوافز مادية في الكتابة في سيرة رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، فتخرج أبحاث ومؤلفات مباركة ككتاب { روضة الأنوار في سيرة النبي المختار } لصفى الرحمن المباركوري
- ٣- تقيم الهيئات والمنظمات والجامعات..... مؤتمرات سنوية لإبراز جوانب من السيرة، كمؤتمرا هذا الذي اختص بجانبين من جوانب السيرة. الجانب التاريخي النقدي، والجانب الفقهي التحليلي للاستفادة منها في حياتنا اليومية المعاصرة .
- وسأبرز فيما يلي جوانب من سيرة محمد صلى الله عليه وسلم نحتاج إليها في حياتنا اليومية الإسلامية، وجوانب أخرى يحتاجها المسلم في المحافل الدولية غير الإسلامية.

جوانب مهجورة من السيرة يحتاج إليها المسلم

أولا - التوحيد والدعوة إليه :

الدين يتركب من ركنين: هما العقيدة والشريعة، والعقيدة بمثابة الأساس للبناء، فإن استقامت استقام البناء ، وإذا انحرفت انحرف البناء حتماً ، وتسمية القرآن لها بالإيمان . وتستطيع إدراك أهمية الإيمان من أن رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم ظل يدعو إليه وبينه في قلوب أصحابه ثلاثة عشر عاماً، وهي مدة مكثه بمكة شرفها الله قبل الهجرة، وتشمل تسعا وثمانين سورة من مجموع مائة وأربع عشرة سورة، والسور التي نزلت بمكة هي السور الطوال ، ويدور مضمونها وتركيزها على ثلاث قضايا عقديّة رئيسة .

١/ الإيمان بالله وأنه الإله الحق، أتركوا ما تعبدون من دونه فإنها آلهة باطلة لا تضر و لا تنفع ، النفع والضرر يختص بهما الباري عز وجل.

٢/ أن محمد بن عبدالله رسول مرسل من عند الله عز وجل آمنوا به واعملوا بما يطلبه منكم، فإن النجاة في إتباع هديه والهلاك في ارتكاب نهيته .

٣/ أن يوم القيامة آتٍ لا محيد عنه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ،يوم لا ينفع مالا ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ،وأعظم الإيمان بالإيمان بالأركان الستة التي وردت في حديث جبريل المشهور (كنا جلوسا قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره وشره) {١} صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم الحديث ٩

والنصف الآخر الذي يتركب منه الدين الشريعة، وهي الأحكام العملية التي ألزمتنا الله بأدائها، وأكد ذلك أركان الإسلام الخمسة ، فمنها ما هو يومي كالصلوات الخمس ومنها ما هو سنوي كالصيام لمن قدر عليه ، والزكاة لمن ملك النصاب والحج لمن استطاع إليه سبيلا فقد صح من سيرته صلى الله عليه وسلم قوله (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) {٢} رواه البخاري كتاب الإيمان باب بني الإسلام على خمس رقم الحديث ٧

{١} صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم الحديث ٩ .

{٢} رواه البخاري كتاب الإيمان باب بني الإسلام على خمس رقم الحديث ٧ .

ثانياً - التشريع حق الله :

ثبت بالإستقراء أن التوحيد ثلاثة أقسام ، توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية ، فالأول يختص بأفعال الله عز وجل كخالق والرزق والإماتة والإحياء والقسمان الأخيران

مطلب الإنسان ، وبتوحيد الأسماء والصفات يتعرف المؤمن على كيفية التعامل مع خالقه العظيم فإن مرض دعاه بالشافي وإن ضاق رزقه دعاه بالرزاق ..

وأما القسم الثالث وهو أهم أقسام التوحيد على الإطلاق، فإنه يختص بأفعال العباد من الصلاة والصوم وبر الوالدين، وأخص خصائصه على الإطلاق التشريع وسنن القوانين ووضع اللوائح والضوابط لتصريف أمور الحياة .

فالتشريع في الدولة الإسلامية حق الله ، لا يشاركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فأعظم خصائص توحيد الألوهية هو حصر التشريع في جناب الله عز وجل .
فلا يملك أحد حق التحليل أو التحريم إلا الله ، فليس لأحد أن يضع اللوائح أو الأسس التشريعية ابتداءً وانشاءً أو تقييداً و إختصاصاً ، تُسَيِّر حياة البشر، وفق منهج معين إلا بنص من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد يتبادر إلى الذهن أن التشريع حق من حقوق المسلمين ، بدءاً بنبيهم وانتهاءً بمجتهداتهم ، إذا المعروف بين أهل العلم أن مصادر التشريع في الإسلام أربعة ، الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فإن كان الكتاب من الله فإن السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الإجماع والقياس فحق علماء الإسلام . وهل الأمر كذلك ؟

لا تعني كتب الأصول في قاعدتها السابقة أن محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم مشرع مستقل ، دون وحي من الله عزوجل ، بل يعنون من السنة التشريعية أن التشريع يأتي عن طريق كتاب الله كما يأتي عن طريق سنة رسول الله .

فالمشروع هو الله ، وطريق إبلاغ الشريعة قد يكون بكتاب الله ، وقد يكون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما محمد بن عبدالله إلا مبلغ لذلك التشريع (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) { ١ } سورة النجم آية ٣ - ٤ .

{ ١ } سورة النجم آية ٣ - ٤ .

وقال عز من قائل (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) { ١ }
سورة الحاقة آية ٤٤-٤٥ .

فالمشرع واحد وطريقة إيصال تشريعه إلى البشر :بكلامه في كتابه عزوجل ، أو بكلام رسوله بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فالله عز وجل هو المشرع ومحمد بن عبدالله هو المبلغ ، وليس من حقه التشريع . إذا التشريع أخص خصائص توحيد الله بأفعال عباده .
ولا يكون الإجماع مشرعاً إلا إذا وافق القواعد العامة للدين ، فالإجماع بمثابة استنتاج لقضية يمكن إدخالها في تشريع منصوص عليه ، إذن هو مصدر غير مستقل ، بل مجاله إدخال المستجدات إلى المنصوصات حسب فهم علماء الدين ، ولا تتجاوز القضايا التشريعية المجمع عليها أصابع اليد الواحدة على أكثر تقدير .

وأما القياس فهو إلحاق الشبيه بالشبيه والنظر بالنظر ، ومن ثم لا استقلال له ، بل إلحاق غير المنصوص بالمنصوص لعلّة تجمع بينهما ، فيأخذ المستجد حكم السابق الذي نص عليه الشرع .
إذن نخلص من مصادر التشريع التي نص عليها علماء أصول الفقه أن المصدرين المستقلين الأساسين هما الكتاب والسنة ، وأما الإجماع والقياس فمصادر تابعة لا استقلال لها ، فالأنظمة الديمقراطية في جزئها التشريعي لا مكان لها في ديانة التوحيد، لذلك جاء النهي الصريح عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في التحليل والتحريم وإن الإمتثال في ذلك عبادة للمحلل والمحرّم
فقد روى أمام المفسرين ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) {٢} سورة التوبة آية ٣١

قولَ عدي ابن حاتم رضي الله عنه قال (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة ، فقرأ هذه الآية: { اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله } قال: قلت: يا

{١} سورة الحاقة آية ٤٤-٤٥ .

{٢} سورة التوبة آية ٣١ .

رسول الله إنا لسنا نعبدهم ! فقال: { أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلون؟ قال: قلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم . } {١} تفسير الطبري ج ١٠ ص ١١٤
ثالثاً: - وحدة أرض الدولة الإسلامية :

الإسلام دين الوحدة وحدة في الإله ، وحدة في الرسول والرسالة وحدة في صرف العبادات
وحدة في التشريع

ومن التوحد الذي سعى إليه الإسلام وحققه على ارض الواقع وحدة أرض الدولة الإسلامية،
فقد عاش المسلمون في عهد النبوة والخلافة الراشدة في دولة امتدت أراضيها من تركيا شمالاً إلى
اليمن جنوباً ، ومن سواحل باكستان شرقاً إلى تونس غرباً .

يتحرك المسلم فيها بإرادته الشخصية ، لا يعوقه عائق من أن يعيش في باكستان أو إيران أو
العراق أو مصر أو تونس ، يلقي الإخاء الإسلامي في حِلِّه و تَرْخَالِه {إنما المؤمنون إخوة}
يستظل بمظلة الإسلام التشريعية الموحدة في كل إقليم حل فيه أو رحل عنه .

فمن حقه كسب رزقه في كل جزء من أرض الإسلام ، ومن حق الدولة أن تعاقبه بالعقوبة
الإسلامية الموحدة في المكان الذي ارتكب فيه الجرم ، ومن حقه أن يتزوج من الشعب أو القبيلة التي
ارتضاها لنفسه في ضوء شروط الإسلام المعلنة (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا
تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد ، قالوا يا رسول الله وإن كان فيه قال إذا جاءكم من ترضون دينه
وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات) {٢} سنن الترمذي كتاب النكاح عن رسول الله باب ما جاء إذا
جاءكم من ترضون دينه فزوجوه رقم الحديث ١٠٠٥ .

لم يكن يلزمه جواز سفر أو تأشيرة دخول أو إذن إقامة ، مادام سفره في أرض الدولة
الإسلامية، لأن ذلك بمثابة بيت متعدد الغرف يخرج من الغرفة الشمالية ليستقر في الغرفة الجنوبية
، أو العكس، أو من الغرفة الشرقية إلى الغرفة الغربية، أو العكس .

{١} تفسير الطبري ج ١٠ ص ١١٤ .

{٢} { سنن الترمذي كتاب النكاح عن رسول الله باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه رقم الحديث
. ١٠٠٥ .

وإذا نظرنا إلى وحدة الأرض من منظور عقلي نجد مصلحة الإنسان تتحقق فيها ويتضح ذلك

مما يلي :-

كلما كبرت الدولة كلما قلت نفقاتها الدفاعية - و للعلم نصف الميزانيات السنوية تنفق على الدفاع في العالم الإسلامي على أقل تقدير- ولربما تقول أنت بالعكس لكن الواقع يشهد بما قلت أنا، تَمَثَلُ الصور التالية : عشر عائلات بزوجين يعيشون في بيت واحد مجتمعين ويطبخون مجتمعين ويستفيدون من خدمات الهاتف والكهرباء مجتمعين ، وافترض صورة استقلال العشر كل زوجين يعيشان في بيت مستقل ، كل زوجين يطبخان باستقلال ، كل زوجين يأخذان الخدمات على استقلال

.....

أي الصورتين أكثر كلفة ؟ هكذا الدولة موحدة ومجزأة ، لذا تجد التوحد آخذ في الانتشار بين دول العالم ، فما انطلق تَوَحُّدُ الأوربيين في عُمَلَتِهِم وحيشهم وسوقهم المشتركة وإلغاء تأشيرات دخول بين دولهم إلا تحقيقاً لهذا الهدف المنشود .

لقد آن الأوان أن تتوحد الدول الإسلامية بجيش واحد وعملة واحدة وسوق إسلامية مشتركة واحدة على أقل تقدير، ولتكن أرض الحرمين نقطه انطلاق لهذا التوحد .

وأسأل الله أن يوفق قادة المسلمين إلى التوحد ونبذ معاهدة سايكسيكو التي قَطَّعَتْ أرض الدولة الإسلامية إرباً إرباً ، ومازال قادة سايكسيكو يسعون إلى التقطيع أكثر فأكثر للعالم الإسلامي ، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم .

رابعاً : التعاون العلمي في العلوم المدنية

يخاطب القرآن الكريم أمة التوحيد أفراداً وجماعات بالتعاون فيما بينها، وأعظم التعاون هو التعاون في تلقي العلم واكتساب المعرفة. قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) {١} سورة المائدة آية ٢.

فمما لا شك فيه أن أمم الغرب قطعت شوطاً بعيداً في تقدم العلوم المدنية، فما من رافد من روافد الحياة المريحة إلا وهم قَدَّمُ سَبْقِ راسخة، ويستقطبون العلماء والطلاب الأذكياء إلى بلدانهم وخلال فترة وجيزة ربما لا تتجاوز أربع سنوات إلا ويمنحونهم جنسية تلك البلاد.

{١} سورة المائدة آية ٢ .

ألا يكون ذلك حافزاً لأمة التوحيد في إقامة جسور التعاون فيما بينها، فكل بلد إسلامي يمتاز ببضاعة معينة وتعتبر تلك المصنوعات مصنوعات من الدرجة الأولى في الغرب، وربما زُدَّ المصنوع إلى البلد الصانع بعد وضع الأختام لشركات معينة.

فمثلا تشتهر شركة هيلد الإنجليزية بالصناعات الصوفية وما يقي البرد من الملابس المصنوعة من الصوف، وإذا تتبعنا المواد الخام نجدها من كشمير وإذا تتبعنا التصنيع نجده يكتمل من البداية إلى النهاية في مصنع لارنس بور في باكستان، ثم تُصدَّر البضاعة إلى الشركة فتضع الأختام والدوائر الحديدية، وتعود البضاعة إلى البلدان الإسلامية بأربعمائة ضعف على أقل تقدير.

فما المانع أن تقيم الدول الإسلامية وحدات تصنيع مشتركة، فمن الدولة الفلانية المواد الخام، ومن الدولة الفلانية التمويل، ومن الدولة الفلانية المهندسون والأيدي الماهرة.....

من المعروف أن ماليزيا قطعت شوطا بعيدا في مضمار الإلكترونيات فلتكن رائدة المسلمين في هذا المجال، كما أن باكستان وتركيا وبنجلاديش تملك الأيدي الماهرة في مجال الطب والهندسة. وقس على ذلك بقية قطاع المعرفة.

خامسا : تطهير القضاء المسلم من الدخيل الوضعي.

يأمرنا القرآن الكريم بواسطة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الإيمان لا يدخل القلب إلا إذا خضع المؤمن لحكم الله، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم حكماً في قضايا الجدل والنزاع. قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) {١} سورة النساء آية ٦٥.

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه حدثه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير، عند النبي صلى الله عليه وسلم في شِراج الحرة - مسيال الماء من حجارة الحرة إلى السهولة - التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري سَرَح الماء يمر فأبى عليه، فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير إسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمك، فتلَوْن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر

{١} سورة النساء آية ٦٥ .

فقال الزبير والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) {١} سورة النساء آية ٦٥ كتاب المساقاة باب سكر الأثمار رقم الحديث ٢١٨٧ وألفاظ مسلم قريبة مما سبق كتاب الفضائل باب وجوب إتباعه رقم الحديث ٤٣٤٧ وفي الترمذي مثله كتاب الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر. وفي النسائي كتاب آداب القضاة باب الرخصة للحاكم الأمين. وفي أبو داود كتاب الأفضية باب من القضاة وفي ابن ماجة كتاب المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله.

وقال عز من قائل: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) {٢} سورة الأحزاب آية ٣٦ .

في ضوء الأدلة السابقة وما سواها يجمع علماء الإسلام المعاصرون أن المشرع بغير ما أنزل الله يلحقه الكفر وإذا نظرنا إلى منصات القضاة في أغلب دول العالم الإسلامي نجد القضاة قد دخله التشريع الوضعي، ففي باكستان مثلاً توريث الحفيد مع وجود أعمامه تشريع مخالف للشرع أدخله الجنرال أيوب خان في تشريع الأحوال الشخصية الإسلامية، وهو ساري المفعول حتى اليوم.

وما وافق عليه البرلمان الباكستاني في تشريعات حفظ حقوق النساء تفوق خطورة عن توريث الحفيد، و لك أن تراجع تفاصيل ناقوس الخطر في مقالي المنشور في موقعي صوت الحق، (أمثلة التشريع الديمقراطي المخالفة للشرع)

http://www.soutulhaq.com/ar/mushref_articles/Show_archiv.php?cat=1&id=6

سادسا: الإخاء الإسلامي.

من أعظم مبادئ الإسلام إخاء المسلم لأخيه المسلم، وقد ضريت سيرته صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في ذلك، ويعجز البشر إيجاد مثله في غير الإسلام في صورته الحقيقية.

{١} { سورة النساء آية ٦٥ و كتاب المساقاة باب سكر الأثمار رقم الحديث ٢١٨٧ / وألفاظ مسلم قريبة مما سبق كتاب الفضائل باب وجوب إتباعه رقم الحديث ٤٣٤٧ / وفي الترمذي مثله كتاب الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر. / وفي النسائي كتاب آداب القضاة باب الرخصة للحاكم الأمين. / وفي أبو داود كتاب الأفضية باب من القضاة / وفي ابن ماجة كتاب المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله .

{٢} { سورة الأحزاب آية ٣٦ .

فقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين القادمين من مكة - المفلسين - والأنصار أصحاب الوطن في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، آخى بينهم من غير نسب أو قرابة أو عرق أو دم، وكان الأمر كثيراً مما يؤول إلى الإقتراع، فكان الأنصاري يُجكّم أخاه المهاجر في نزاع بيته وأثائه وأمواله وأرضه وكُراعاه.....

وتصل المؤاخاة إلى حد يصعب على العقل البشري تصوره، فضلا عن أن يصدقه كواقع عملي مارسه الرعيّل الأول جيل الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكان الأنصاري يقول لأخيه المهاجر انظر شطر مالي فخذهُ، وتحتي زوجتان فانظر أيهما أعجب إليك أطلقها لتصبح زوجة لك، {١}. انظر صحيح البخاري كتاب البر والصلة باب ما جاء في مواساة الأخ رقم الحديث ١٨٥٦ .

كل ذلك جاء تطبيقاً لمبدأ سيرته صلى الله عليه وسلم المتمثلة في قول عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن) {٢} صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين

كيف لا وهو حكم القرآن (إنما المؤمنون إخوة...) {٣} سورة الحجرات آية ١٠

(والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) {٤} سورة الحشر آية ٩ .

أين هذه الوحدة الإسلامية التي ذابت فيها فوارق الدم والقبلية والوطنية والقومية المنبئة.....، بل تحولت هذه الفضيلة الإلهية إلى رذيلة في نظر الواقع المعاصر، بل تجد الهجرة قد منعت، فلا تجد هجرة من أجل الدين ونصرة الإسلام .

ربما احتج محتجّ بوجودها ولكني أسأله بمصوغات سماحها، فمن أهم شروطها أن يكون ذا ثراء فاحش، وان يبقى كوافد لا يتمتع بحقوق أبناء البلد إلى الأبد، فلا تستغرب إن أصيب أولاد هذا المهاجر بالعقد النفسية والذل والصغار، وإنهم أقل إنسانية من أبناء هذه البلاد.

{١} انظر صحيح البخاري كتاب البر والصلة باب ما جاء في مواساة الأخ رقم الحديث ١٨٥٦ .

{٢} صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين .

{٣} سورة الحجرات آية ١٠ .

{٤} سورة الحشر آية ٩ .

وتحدّث عن التشريعات التي وضعت لأمثال هؤلاء ، الهجرة غير الشرعية وضريبة تأشيرة دخول البلاد ووضع العوائق أمام تعليمهم ومنعهم من اكتساب لقمة عيشهم.....،ولربما دول الكفر كانت أعدل في هذا الباب من الدول الإسلامية،ولرغد العيش والخوف من خفضٍ في مستوى المعيشة دَخَل في مثل هذه التطبيقات غير الشرعية .

لا شك أن ذلك مناقض لقول الحق تبارك وتعالى:(وما من دابة في الأرض إلا على الله

رزقها...) {١} سورة هود آية ٦

ومناقض لصريح شرع رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم الله كما يرزق الطير تغدو خِمْاصاً وتروح بِطَاناً) {٢}سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب التوكل واليقين رقم الحديث ٤١٥٤ .

سابعاً : التعليم المواكب للتربية .

التعليم عصب التوجيه فعن طريقه يهيئ الإنسان نفسه للغاية التي يريد تحقيقها، فحين أراد اليهود قطع صلة النصارى بدينهم وجهوا تعليمهم وجهة تخالف وجهة الكنيسة - رغم أن الكنيسة قد أصيبت بانحراف عقدي إلا أن لها صلة بالسماء - وجه اليهود تعليم الغرب إلى النظريات العلمية كنظرية دارون ونظرية دوركايم ونظرية فروند ونظرية كارل ماركس التي صيغت لمحاربة إله الكنيسة فأُخْرِجَ التعليم متعلماً و مُنتجاً ينكر وجود الله فضلاً عن إتباع أحكامه.

فالتعليم الغربي الحالي لا يعترف بوجود الله حقيقة وإن كان يقر بوجوده بالقول واللسان، ولكن لا يعترف به كمحرك للأحداث اليومية وإن قدرته هي التي تتصرف في مجريات الحياة، من إنبات زرع وحدوث زلزال وموت زيد وسقوط طائرة بل كل ذلك ينسب إلى السبب المباشر إن ظهر، وإن لم يظهر نسبه إلى الطبيعة التي لم يستطيعوا تحديد مفهومها حتى اليوم .

فالأصل في التعليم أن يربط كل أحداث الحياة بالله عز وجل، لذا نجد أن أول ما نزل من القرآن الكريم يركز على هذه الحقيقة(اقرأ باسم ربك الذي خلق*خلق الإنسان من علق*اقرأ وربك الأكرم*الذي علم بالقلم*علم الإنسان ما لم يعلم) {٣}سورة العلق آية ١-٥

{١} سورة هود آية ٦ .

{٢} سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب التوكل واليقين رقم الحديث ٤١٥٤ .وفي سنن الترمذي ومسنند أحمد ألفاظ متقاربة .

{٣} سورة العلق آية ١-٥ .

فالتعليم الإسلامي يُبْنَى على أمورٍ أهمها: -

أ: - إنه وسيلة للتعرف على الله عز وجل من خلال توجيه الإنسان إلى مظاهر الكون، من شمس وقمر ونجوم وجبال وطيور ومياه وأشجار وحيوانات.....

ب: - لا يفرق التعليم الإسلامي بين تعليم ديني وتعليم دنيوي، بل يُعَد كل ذلك تعليماً دينياً، فحين ينظر الإنسان إلى التعليم بهذا المنظار تختلف نتائجه في التلقي والأداء...، وأن الله يراه وسيحاسبه على أعماله التي يرتكبها، فيأخذ الحذر والحيطه في كل تعليم يتلقاه أو يُعَلِّمُه (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين أكتسبه وفيما وضعه، وعن علمه ماذا عمل به) {١} سنن الدارمي كتاب المقدمة باب من كره الشهرة والمعرفة رقم الحديث ٥٣٨ .

ث: - يهتم الإسلام بتعليم أبنائه اهتماماً يصعب وجود مثله في بقية الديانات الإلهية التي دخلها التحريف، أو الوضعية المنحرفة أصلاً. فأول كلمة الإسلام التي نزلت من عند الله نَصَفُ التعليم (اقرأ) والنَصَفُ الآخر أتمه الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم في فكاك أسرى غزوة بدر، فقد اشترط في فك الأسرى ممن كان قارئاً ولا يملك فداءً أن يعلم عشرة من صبيان الأنصار بالمدينة القراءة والكتابة. {٢} انظر مسند الإمام أحمد ج ١/٢٤٧ مسند ابن عباس وكان ممن تعلم بهذه الطريقة زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه الذي كلفه الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن في خلافته، وشاركه في ذلك عمر في هذا الخير. فجمعا القرآن على ما هو عليه الآن.

ج: - التعليم في الإسلام ليس من مهام الدولة، بل من أفراد المسلمين الخيرين، وقد سار التعليم في الإسلام منتهجاً هذا النهج لم ينقصه التمويل في فترة من فترات التاريخ، بل نجد الأوقاف التي أوقفت على التعليم تسد نفقاته، من رواتب المدرسين ومكافأة الطلاب ومصاريف جيوبهم ومأكلهم ومشربهم و ملبسهم .

{١} سنن الدارمي كتاب المقدمة باب من كره الشهرة والمعرفة رقم الحديث ٥٣٨ .

{٢} انظر مسند الإمام أحمد ج ١/٢٤٧ مسند ابن عباس

وأعظم ناتج خرجوا به من عدم رسمية التعليم أن كان التعليم حراً لا يقبل التوجيه من أحد سوى الشرع، فتخرج علماء جمعوا بين علوم الدين وعلوم الدنيا، فكان الخريج عالم دين و طيباً معاً أو عالم دين و فلكياً معاً يرصد مواقع النجوم أو عالم دين وكيميائياً يسجل نتائج في مؤلفاته. وهذه النتيجة مفقودة في تعليم اليوم، فهو مُوجَّهٌ توجيهاً معيناً يُخَرِّجُ متعلماً بنوعٍ معين من المعلومات لا يجيد عنها.

وما أحدثته الدول الإسلامية في مناهج تعليمها كباكستان واليمن ومصر والأردن باسم التطوير والرقمي لا يبنى إلا عن استسلام، وتوجهٍ معادٍ لهذا الدين ومبادئه الخالدة . والتنبية الأخير الذي أرغب في الإشارة إليه، أن التعليم المعاصر الرسمي يتبنى جانباً واحداً من جوانب الإنسان و يهمل الجانب الآخر تماماً، فابن آدم مركب من مواد عضوية مادية وروح شفاقة، وتعليم اليوم منكبٌّ على الجانب الأول(الجانب المادي) من لحم ودمٍ ومكيف وثلاجة وبنادول.....ومهمل للجانب الآخر تماماً.

أضف إلى ذلك أن رسمية التعليم أضرم بمصداقيته، فالأصل في التعليم أن يقود إلى العمل. فأين هو؟ أين المتخرجون العاملون بما تعلموه من الأسس الإنسانية. أين الهذب النفسي الذي نفتخر بوجوده، المتعلم ينظر إلى معلمه نظرة اقتداء فلا يجد فيه تلك المصداقية، فيجزم بأن ما يقوله معلمه هو كلام لا يقتضي عملاً .

فالمعلم يفرس النفاق العملي في طلابه بأمرهم بعدم التدخين وهو يدخن، ينهاهم عن الغزل والمغازلة وهو يمازح النساء، يفتيههم بجرمة الكذب وهو يكذب، يحرم عليهم استعمال المخدر وهو يتعاطاه.....

فتعليم اليوم مهنة كسائر المهن، يتعاطى أصحابه كل ما يتعاطاه أصحاب المهن، من الغش والتدليس والنهب والاختلاس....، كل تلك نتيجة منطقية بتبني رافد العلم والمعرفة دون رافد العمل، وإذا نظرنا إلى حياة سيد المعلمين نجد العلم والعمل معاً. علم الدين وعلم الدنيا معاً دون تفريق بينهما.(قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة) {١} صحيح مسلم كتاب الطهارة باب الإستطابة رقم الحديث ٣٨٥ .

{١} صحيح مسلم كتاب الطهارة باب الإستطابة رقم الحديث ٣٨٥ .

ثامنا/ ترجمة العلوم.

مما له صلة بالعلم ترجمة ما لدى غيرنا من العلوم إلى لغة أمة الإسلام، فالأهم غير المسلمة تقدمت في مضمار العلوم المادية. يجب علينا اللجوء بما وصلت إليه تلك الأمم، فالتجارب التي تخوضها أمة التوحيد في إكتساب المعارف الدنيوية لا تقود إلى بر الأمان، وسنظل عالمة عليهم ربما إلى مالا نهاية .

فللأمة الإسلامية تجربة ناجحة سابقة خاضتها عبر تاريخها فأصبحت هي الرائدة في هذا المجال نزل الإسلام على محمد بن عبد الله في شعوب ينذر وجود كاتب فيها، فمكة عاصمة جزيرة العرب لم يكن فيها أكثر من تسعة أفراد يتمتعون بصفة القراءة والكتابة، وكان أحد هؤلاء في عهد النبوة ورقة بن نوفل عم خديجة رضي الله عنها، حملت هذه الشعوب مشعل التعليم بعد استظلالها تحت راية التوحيد، وأصبحت أمة واحدة تمسك بقيادة العلم والمعرفة آنذاك .

فقد احتكت في عهد دولة بني العباس بالأمم ذات حضارة وعلم لها قدم راسخة في المعرفة فترجم المسلمون علوم تلك الأمم إلى اللغة العربية . وشجع خلفاء الإسلام هذه النهضة ، فأخذت الترجمة مكان الصدارة في نقل العلوم ثم درّسها علماء الإسلام حتى هضموها ثم بنوا عليها .

ويصرح المنصفون من علماء الغرب أن المسلمين أُنمّاء لحضاراتهم وتراثهم العلمي القديم ، واستطاع الغرب استرداد علومه القديمة من الموروث الإسلامي الذي ترجمه علماء المسلمين في عهد الخلافة العباسية .

وإذا أراد المسلمون اللجوء بالركب ، ثم الإمساك بالقيادة فليتبعدوا ما يلي :

- أ- تكوين لجان مشتركة من جميع الدول الإسلامية، مهمتها ترجمة علوم الغرب إلى لغة أبناء الإسلام، بصياغة سهلة حتى يتمكن الأبناء من استيعابها .
- ب- صياغة المناهج لكل مرحلة من مراحل التعليم تتفق مع منطلقات الإيمان والعقيدة الإسلامية، فمثلا من قوانين الماء أنه إذا أخذ في التجمد يخف وزنه و يَسْتَوُ على السطح ...، فهذه القوانين العلمية الصيرفة لا خلاف فيها بين مسلم وغير مسلم ، ويظهر الخلاف في صياغتها .

فحين يصوغها مسلم سيضع في اعتباره أن المتصرف هو الله ، وأن لكل فعل من أفعال حِكْمَةٌ، فحين وضع البارئ عزوجل في الماء خاصية الخفة عند التجمد فحكمة ذلك لتبقى الكائنات المائية حيّة حين تتجمد المحيطات، فلو كان وزن الثلج هو وزن الماء لماتت هذه الكائنات،

لنزول كُنُتِل الجليد إلى قاع البحار، قال تعالى (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) {١} سورة ص آية ٢٧

وأما ما تتبناه دول الإسلام من إبتعاث أبنائها ليتعلموا لغة القوم أولاً، ثم يدرسوا تلك العلوم، ثم يعودوا فيُدْرُسُوها بلغة القوم، فإن هذه الطريقة غير مجدية، بل إنها ضارة جداً لوجوه .
أ/ يمضي طالب العلوم فترة زمنية غير قصيرة من عمره في تعلم تلك اللغة، فيطفي زهرة حياته في تعلم تلك اللغة .

ب/ ينتقل مع اللغات عادات وتقاليد وأفكار، ربما لا تنسجم مع عقيدة التوحيد، كنظرية دوران صاحب علم الإحياء الذي نسب الخلق إلى الطبيعة ونظرية فروند الجنسية، ونظرية دور كايم في العقل الجمعي الذي أخبر بنصف الحقيقة من كون الإنسان يتأثر بغيره وأخفى نصفها الآخر من كونه يؤثر في غيره، ونظرية هنري برجسون من كون الإله خيلاً أنتجه العقل البشري

ت/ عند أخذ هذه العلوم من أولئك القوم يجب حسن الاختيار فقد جرت العادة أن الأخذ ينهر بما، فيمجدها إلى الحد الذي لا يقبل النقد، لأن صفحة النقد محجوبة عنه، ومن هنا جاء التوجيه الرباني بحسن الإختيار مع الإستعلاء على من لا يؤمن بالله عزوجل (ولا تمّنوا ولا تخزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) {٢} سورة آل عمران آية ١٣٩

تاسعاً : منع المخالفات الشرعية في الدولة الإسلامية .

المسلمون أمة ذات كيان مستقل، لا يشتركون مع غيرهم في كثير من مناهج الحياة، فمن هذه المناهج المختلفة أن دولة الإسلام لا تسمح بوجود مظاهر علنية حرّمها الشرع، ومن هذه المظاهر العلنية وجود دور البغاء والخمارات ومصانع الخمر المنتجة لمذهبات العقل، فكل ذلك لا يبيحه الإسلام ولا تقره الفطرة السليمة.

وأبرز ما نشاهد في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب أنه حين قدم المدينة كان أهلها يشربون الخمر ويصنعونه، وما أن أنزل الله حرّمته حتى أريق في أزقة المدينة وكُسِرَتْ جِرَارُهُ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل

{١} سورة ص آية ٢٧ .

{٢} سورة آل عمران آية ١٣٩ .

الشیطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون) { ١ } سورة المائدة آية ٩٠

فالأمر للوجوب كما يقول علماء الأصول ما لم يصرفه صارف، و لا صارف هنا، (فاجتنبوه)
فيلزم المسلمین إجتنابه .

و فی مؤطا الإمام مالک عن أنس بن مالک رضی الله عنه أنه قال : (کنت اسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبا طلحة الأنصاري وأبي بن كعب من فضيخ وتمر، قال فجاءهم آت فقال إن الخمر قد حرمت، فقال أبو طلحة يا أنس قم إلى هذه الجرار فأكسرها، قال فقمت إلى مِهْرَاسٍ لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت) { ٢ } كتاب الأشربة باب جامع تحريم الخمر رقم الحديث ١٣٣٥

وفي مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال (لما كان يوم فتح مكة أهرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر وكسر جِزَارَه، ونهى عن بيعه، وبيع الأصنام) { ٣ } كتاب باقي مسند المكثرين باب مسند جابر بن عبد الله رقم الحديث ١٤١٢٩

والنهي للتحريم ما لم يصرفه صارف ولا صارف هنا فيلزم الدولة الإسلامية أن تصدر أحكاماً تطبيقية لمنع الشرب، وأخرى عن نهي البيع امتثالاً للآية، وتطبيقاً لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .
وأعظم ذلك كله ما يباع سراً أو علناً بترخيص من الدولة، فيجب إلغاء الرخص التي مَنَحَتْهَا لأفراد معينين لبيع المسكرات من ويسكى وما يشبهه ، كل ذلك لا يبيحه الشرع للمسلمين ولا لغير المسلمين، بل هو محرم بحكم القرآن وتطبيق السنة .

عاشراً : التعاون مع غير المسلمين فيما أباحتها الشريعة .

الإنسان اجتماعي بطبعه، يجب الانضمام إلى غيره، والتعاون مع أخيه الإنسان فيما يعود عليهما بالنفع والمصلحة، ما لم يكن هناك ضرر للمجتمع المسلم، ومعصية الله عزوجل، وقد جاء الإذن الإلهي الصريح بذلك قال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) — إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين و أخرجوكم من دياركم و ظاهروا على إخراجكم أن تولوهم و من يتولهم فأولئك هم

{ ١ } سورة المائدة آية ٩٠ .

{ ٢ } كتاب الأشربة باب جامع تحريم الخمر رقم الحديث ١٣٣٥ .

{ ٣ } كتاب باقي مسند المكثرين باب مسند جابر بن عبد الله رقم الحديث ١٤١٢٩ .

الظالمون) { ١ } سورة الممتحنة آية ٨ - ٩ .

وقد جاءت السنة شارحة لتطبيقات القرآن العملية , فقد استجار الرسول صلى الله عليه وسلم
عبدالله بن أريقط دليل الطريق في هجرته ، كما عامل يهودَ خيبر في المزارعة، واستعمار السلاح يوم
فتح مكة من صفوان بن أمية، وهو مشرك(٢) راجع تفاصيل ذلك في سيرة ابن هشام ج٢/٤٤٠ .

لحق بالرفيق الأعلى عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير(٣) صحيح
البخاري كتاب الجهاد باب ما قيل في درع النبي والقميص في الحرب رقم الحديث ٢٧٠٠
الحادي عشر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

جبل ابن آدم على عدم الخضوع للقيود، فيأتي الشرع فيبيح له ما يتفق مع فطرته ويمنعه ما لا
يتفق مع فطرته ، أوفيه تعدٍ على حقوق غيره ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثل هذا الجانب
في الفطرة البشرية .

والمعروف ما تعارف الناس على حُسْنِهِ بفطرتهم ، والمنكر ما أنكره الناس بفطرتهم ، وأتقن
ضابط للمعروف والمنكر هو ما وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم (البر حسن الخلق والإثم ما
حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس ...) { ٤ } صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تفسير
البر رقم الحديث ٤٦٣٢ .

وهو على ثلاث مراتب على الترتيب: فمن المسلمين من يستطيع تنفيذ المعروف والنهي عن
المنكر بقوة السلطان ، ومنهم من يستطيع بالبيان والإيضاح وحملته العلماء ورجال العلم، ومنهم من
لا يستطيع الإتيان بالمرحلتين، فعليه الإنكار بالقلب .(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم
يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) { ٥ } صحيح مسلم كتاب الإيمان باب
بيان كون النهي عن المنكر..... رقم الحديث ٧٠ .

{ ١ } سورة الممتحنة آية ٨ - ٩ .

{ ٢ } راجع تفاصيله سيرة ابن هشام ج٢/٤٤٠ .

{ ٣ } (صحيح البخاري كتاب الجهاد باب ما قيل في درع النبي والقميص في الحرب رقم الحديث ٢٧٠٠ .

{ ٤ } . صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تفسير البر رقم الحديث ٤٦٣٢ .

{ ٥ } صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر..... رقم الحديث ٧٠ .

وفي رواية مسلم {وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل} {١} كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر.....رقم الحديث ٧١

وأعظم ذلك ما يتصل بالسلطين والوزراء ومن على شاكلتهم ، و الممثلون يمثلون مكانة الشهداء (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) {٢} سنن الترمذي كتاب الفتن عن رسول الله باب ما جاء أفضل الجهاد..... رقم الحديث ٢١٠٠ وخيرية هذه الأمة مرتبطة به قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالمعروف بالله) {٣} سورة آل عمران آية ١١٠ فمتى حققنا الشروط الثلاثة ستعود إلينا قيادة العالم المفقودة .
الثاني عشر : تولية المناصب للكفاء الأمين .

التنظيم الإجتماعي محتاج إلى قائد , ومصالح الناس ترتبط بمن يوفرها لهم، فإدارات الدولة المختلفة محتاجة إلى من يدير شئون الناس : كالقضاء والبنوك والشرطة والجيش والجامعات والمدارس والتجارة والاتصالات و الصحة ومصلحة المياه والكهرباء وقواعد السير
وأعظم الضوابط فيمن يتولى هذه الشئون :

١- أن يكون ذا كفاءة وأهلية لهذا المنصب من منطلق القيود الشرعية ، كالأمانة والصدق والبعد عن الخرمات

٢- ألا يطلب ذلك المنصب مع وجود مثيله أو من هو أكفأ منه .

فقد نهي رسول الله صلى عليه وسلم عن ذلك فعن عبدالرحمن بن سمرة قال قال صلى الله عليه وسلم يا عبدالرحمن بن سمرة (لاتسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكُلتَ إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها،.....) {٤} كتاب الأحكام باب من سأل الإمارة وكل إليها رقم الحديث ٦٦١٤

٣- إن لم يوجد من هو أكفء منه وجب عليه تقديم نفسه و يحرم عليه التخلف و الامتناع.

{١} كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر.....رقم الحديث ٧١ .

{٢} سنن الترمذي كتاب الفتن عن رسول الله باب ما جاء أفضل الجهاد..... رقم الحديث ٢١٠٠ .

{٣} سورة آل عمران آية ١١٠ .

{٤} .{٤} كتاب الأحكام باب من سأل الإمارة وكل إليها رقم الحديث ٦٦١٤ .

وقصة يوسف عليه السلام خير شاهد لذلك، قال تعالى في طلب يوسف للمنصب (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) { ١ } سورة يوسف آية ٥٥ .

الثالث عشر: تحديد عاصمة للإنطلاقة الإسلامية العالمية .

من المعروف في النظام الكووبي أن لكل شيء مركز يدور حوله، فآلمَجَزَات تدور حول مركزها والإليكترون حول مركزه، وجاء الإسلام متبعاً لهذه السنة الكونية، فقد أسس الرسول صلى الله عليه وسلم مركز الإسلام في المدينة المنورة، وظلت المدينة عاصمة المسلمين الأولى حتى نهاية الخلافة الراشدة .

ثم انتقل هذا المركز المحوري إلى دمشق فبغداد فإسطنبول ، وإن الدول الإسلامية الممزقة الآن محتاجة إلى مركزٍ تجمعٍ جديد ، فلا بد من تحديده حتى تنطلق منه وحدتهم الجديدة .

وإني اقترح من هذا المنبر على قادة الدول الإسلامية أن يجعلوا عاصمة تحركهم الإسلامي الجديد إحدى المدينتين المقدستين لدي المسلمين ، مكة المكرمة أو المدينة المنورة، إذ قلوب المسلمين تهوى إليهما حجاً وعمرة وزيارةً لمسجد رسول الهدى صلى الله عليه وسلم ، ولن يجد القادة معارضة لهذا التحديد أو لهذا التوجه من أي شعبٍ من شعوب المسلمين .

والكلمة الأخيرة التي أود إسدائها للمؤتمر أن يكون نصحنأ لحكامنا وأولياء أمورنا بالدين لا الغلظة، فإن اللين يُوصل والغلظة تقطع، فَلَنَكُنْ موصولين لا قاطعين، وقدوة الناصحين كتاب الله عزوجل قال تعالى لكليمه موسى عليه السلام حين أرسله لطاغية الطغاة فرعون وقومه (إذهب إلى فرعون إنه طغى - فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى) { ٢ } سورة طه آية ٤٣-٤٤ .

هذا ما استطعت جمعه في ضيق من وقتي، من جوانب سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم المهجورة التي نحن في أمس الحاجة إليها . أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يسدد خطى مؤتمرنأ هذا وأن يجعله معلماً يبر الطريق القويم للمسلمين أجمعين .

اللهم سدّد خطانا وبارك لنا في أعمالنا إنك قريب مجيب .

كتبه أستاذ العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة

www.soutulhaq.com

الطائف والمشرف العام على موقع صوت الحق

د/ خادم حسين إلهي بخش في ١٩ ربيع الأول ١٤٢٨ = ٧ ابريل ٢٠٠٧ .

١-سورة يوسف آية ٥٥ .

٢- سورة طه آية ٤٣-٤٤ .